

ألف حكاية وحكاية (١١٧)

مغامرة الغواصة العجيبة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم

تامر الشاروني

الناشر

مكتبة مصر

مكتبة مصر العامة
شارع كامل صدق - القاهرة
٥٩٠٨٩٦٠٥

ساقية بالألوان عمرها ٢٠٠٠ سنة

لوحة بالألوان ، على حائطٍ من طينٍ ، تمثلُ ساقيةً يُديرُها ثورانٍ ، رسمها فنانٌ مصريٌّ مجهولٌ منذُ ٢٠٠٠ سنةٍ .. لعلها أشهرُ الرسومِ بالمتحفِ اليونانيِّ الرومانيِّ بالإسكندرية .

وقفتُ أمامها مع مجموعةٍ من فتياتنا الصغيرات ، الطالباتِ بإحدى المدارسِ الإعداديةِ ، نتحدثُ عن وظيفةِ الساقيةِ في رفعِ الماءِ من مستوى المَجْرَى المنخفضِ ، إلى مستوى الأرضِ الزراعيةِ المرتفعِ .

سألتُهنَّ : " قبلَ استخدامِ الساقيةِ ، كيفَ كانَ المصريُّ القديمُ يرفعُ الماءَ في غيرِ أوقاتِ فيضانِ النيلِ ؟ "

وبسرعةٍ جاءتِ الإجابةُ من كثيراتٍ : " بالشَّادوفِ . "

فعدتُ أسألُ : " وما الفرقُ الأساسيُّ بينِ الآلتينِ ؟ "

وسكتنَ إلا واحدةً ، قالتْ في ثقةٍ : " الشادوف يعملُ بقوةِ

الإنسانِ ، وترفعُ به في وقتٍ طويلٍ ، كميةً قليلةً من الماءِ . أما الساقيةُ

فتعملُ بقوةِ الحيوانِ ، وترفعُ كميةً أكبرَ في وقتٍ أقلِّ . "

سألتُ : " والآنَ ؟ "

قلنَ : " يستخدمُ المزارعونَ الطلمباتِ ، التي تُدارُ بطاقةِ النفطِ

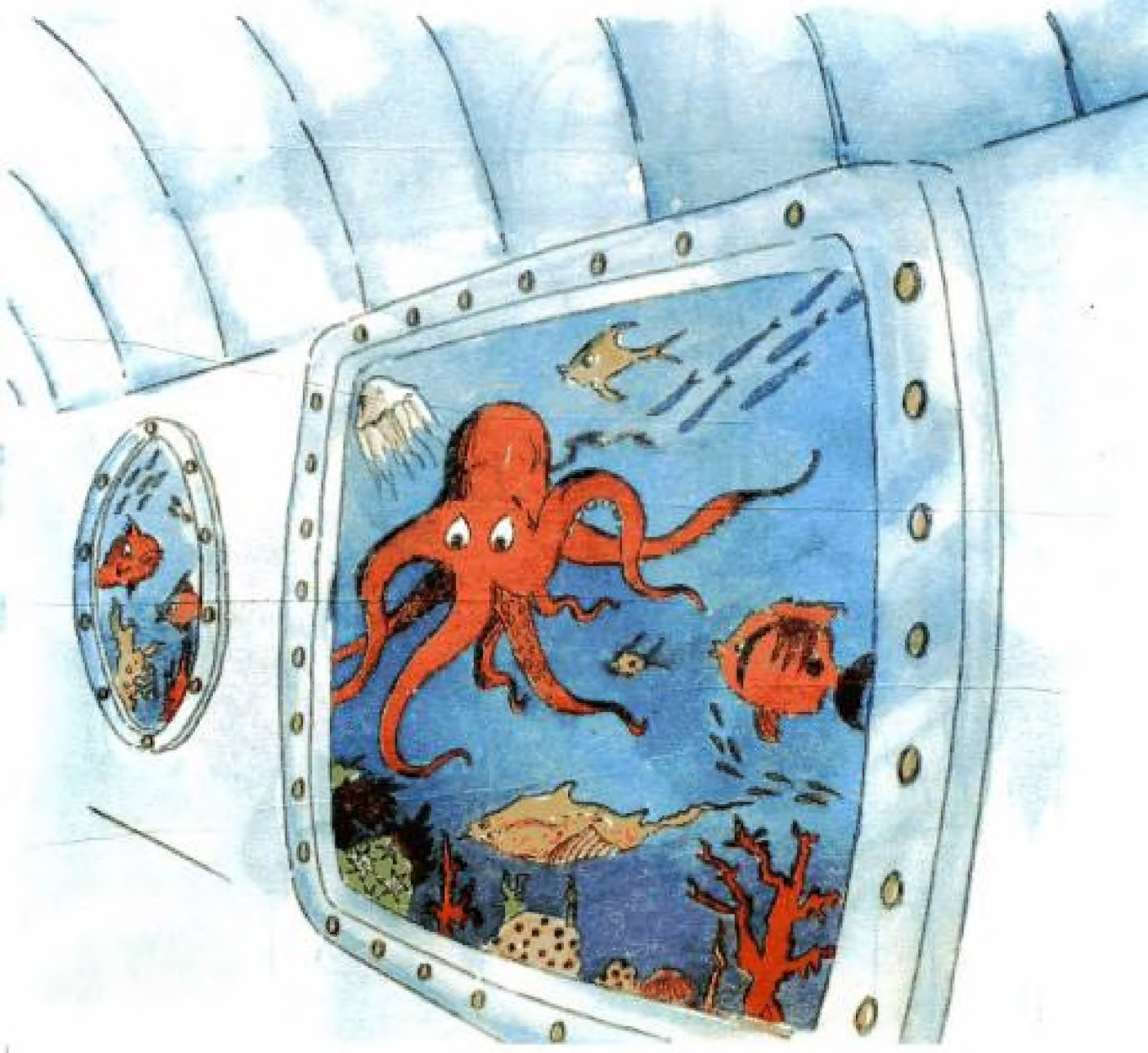
أو الكهرباءِ . "

وفجأة أضافت فتاة صغيرة ، تلتمعُ عيناها بالذكاء الحاد والثقة
بالنفس : " الآن فهمتُ الهدف من حديثك .. مثلُ هذا حدث في
مجالاتٍ كثيرةٍ أثناء تقدُّم الحضارة .. فمثلاً النقلُ بدأ بالإنسان الذي
كان يحملُ الأشياءَ أو يجرُّها ، ثم استخدمَ الإنسانُ الحيوانَ للحملِ
والجرِّ ، وبعدها جاء استخدامُ البخار والكهرباء لتسيير القطاراتِ
والسياراتِ . "



مغامرة الغواصة العجيبة

إلى بطن الغواصة المغطى بالمعدن الفضي اللون ، دخل
عشرون فتى وفتاة ، وجلسوا على مقاعد المشاهدة . ثم أطفئت
الأضواء ، لتتركز العيون على نوافذ الغواصة الدائرية والمستطيلة ،
تراقب مياه البحر الأحمر ، التي بدأت الغواصة تنزل ببطء إلى
أعماقها .



ومن النوافذ المُحصَّنة ، شاهدوا في البداية الكائنات التي تعيش
في منطقة المياه المُضيئة ، القريبة من سطح الماء و ضوء الشمس . ثم
المنطقة نصف المُضيئة . وبعدها في الأعماق ، منطقة الظلام الشديد .
وفي كل منطقة ، بُصِرَ مختلف أشكال الحياة البحرية الحية
التي تتميز بها المنطقة ، وكلها تنبضُ بالجمال وروعة الطبيعة ، خاصةً
تكوينات المرجان ، في تشكيلاتها التي تكوَّنت خلال عشرات الألوف
من السنين ، والتي يتدافعُ بسببها آلاف السائحين إلى
مصر ، يمارسون رياضة الغوص في بحارنا ، ليتمتعوا بجمالها وألوانها .
هذه الرحلة المثيرة لم تتم في مياه البحر الأحمر في الغردقة أو
شرم الشيخ ، بل في أكثر قاعات العرض إثارةً وحيويةً ، بمتحف
سوزان مبارك للطفل ، في حديقة الغابة ، بمصر الجديدة بالقاهرة .



الحادثة

كان تعليقُ إحدى الصغيراتِ على قصةِ فيلمٍ " جميلة والوحش " ، أنه : " عندما أظهرَ الوحشُ الحبَّ والعطفَ ، استطاعَ أن يكسبَ جميلةً ، وأن يفوزَ بحبِّها " .
وهناك عملٌ فنيٌّ آخرٌ جميلٌ ، تناولَ نفسَ الموضوعِ ، لكن من وجهةِ نظرٍ عكسيةٍ .

فعلى المسرحِ بالقاهرة ، تمَّ عرضُ مسرحيةٍ " الحادثة " ، التي كتبها الكاتبُ المسرحيُّ المبدعُ " لينين الرملي " .
وفي هذه المسرحية ، نرى الشابَّ الذي يزعمُ ويقولُ : " إنه يحبُّ فتاةً " ، يحبسُها في غرفةٍ ، ويحيطُها بكلِّ وسائلِ الراحة ، ثم يؤكدُ لها أنه لن يُطلقَ سراحَها ، إلا إذا أحبَّتهُ مثلما يحبُّها !!
وتنتهي المسرحيةُ بأن يُصبحَ السجَّانُ سجينًا مع سجينتهِ ، بغير حبٍّ ولا تعاطفٍ !!

قالَ حفيدي ، الذي يبلغُ من العمرِ ستَّ سنواتٍ ، بعد أن حضرَ هذا العرضَ معي ، وضحكَ على كثيرٍ من مواقفهِ : " جدو .. هل يأتي الحبُّ بالإجبار والقوة ؟ "

أمَّا حفيدتي ، التي ارتفعتْ ضحكاتها مُجلجلةً أثناءَ العرضِ ،

والتي بلغت الثامنة من عمرها ، فقد قالت ضاحكة : " وُريدُها أيضًا
أن تحبّه بالمسدس !! "

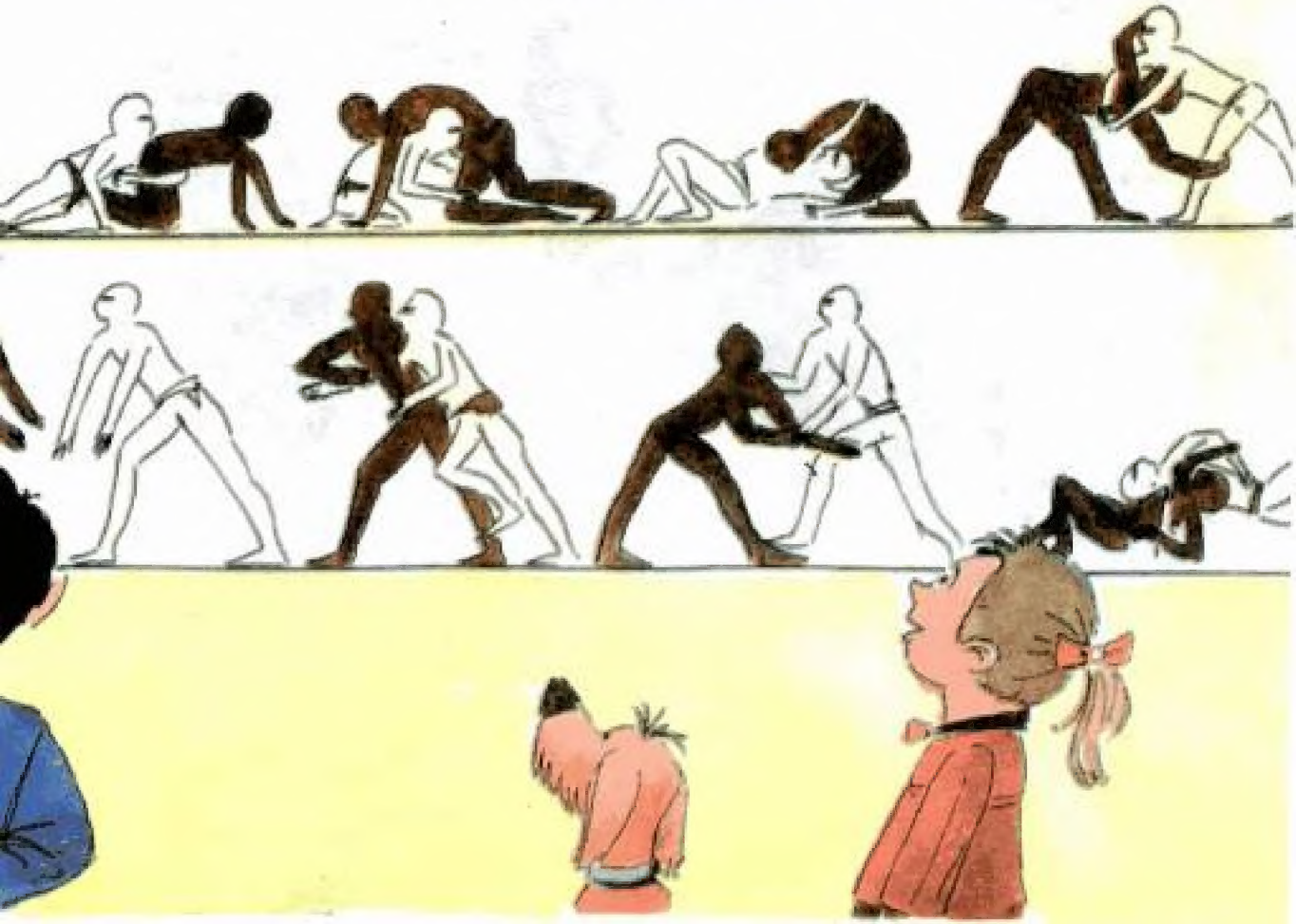
هنا أيقنتُ بوضوح ، أن الأطفال ، مثل الكبار ، يعرفون جيدًا ،
أنه لا يُمكن أن نكسب الحبَّ إلا إذا أحببنا .



المصارعة على الجدران

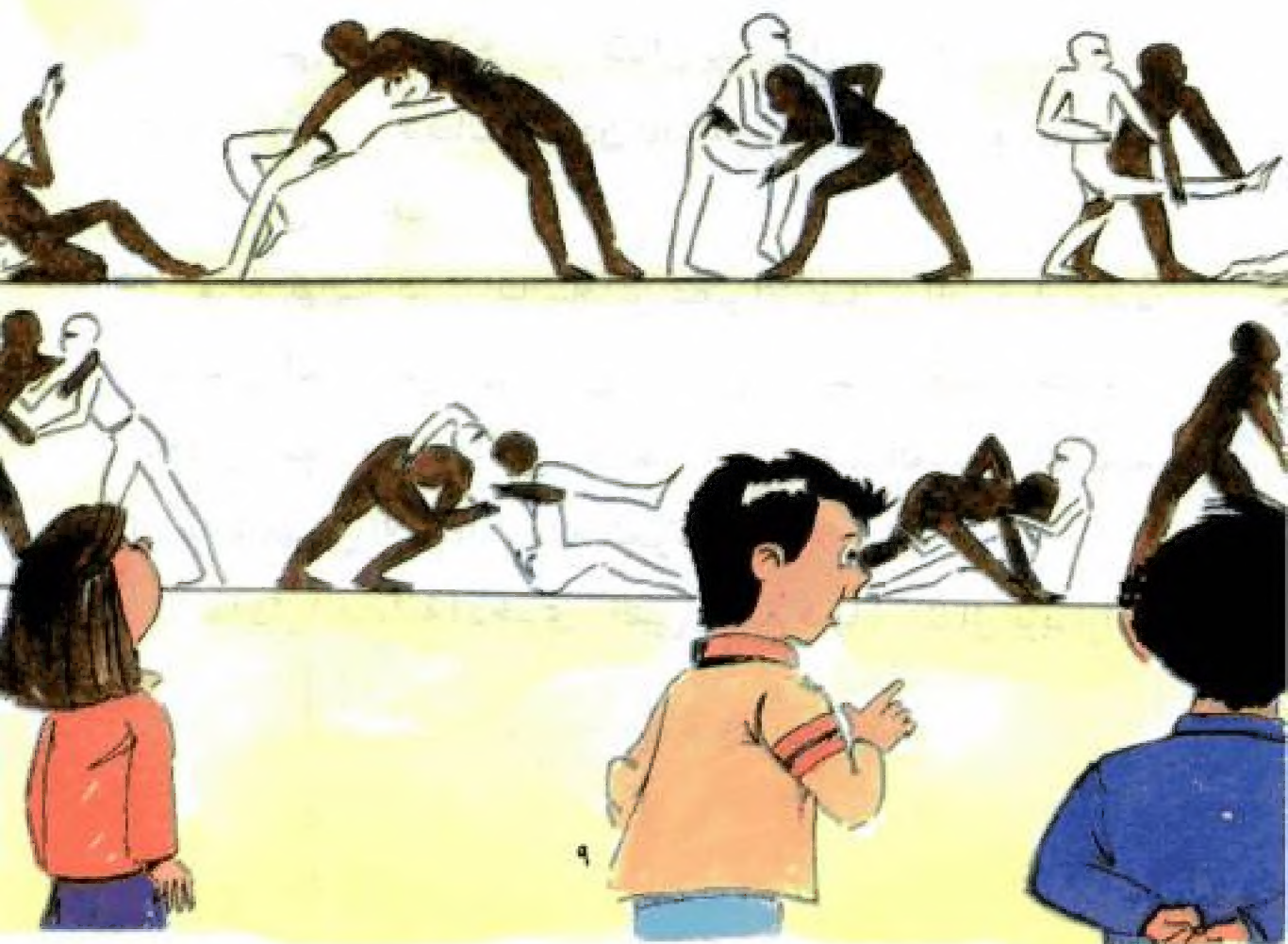
مع أربعين طفلاً من أعضاء نادى الأطفال بقصر ثقافة
أسيوط ، وقفنا نتأمل عشرات من أوضاع رياضة المصارعة ، على
جدران آثار بنى حسن ، فى تلال البر الشرقى المشرفة على النيل
بمحافظة المنيا .

قالت رشا : " منذ أربعة آلاف سنة ، أتقن أجدادنا الرياضة ، حتى
أصبحت لها قواعدُ سجلوها بمثل هذه الدقة على آثارهم . "
وكان تعليقُ حسام : " من المؤكد أن الحاكمَ صاحبَ هذه
المقبرة ، كان يحبُّ الرياضة ، لذلك اهتمَّ كلُّ هذا الاهتمام بأن
تأخذ رسومها كلُّ هذه المساحة من جدران مقبرته . "



قَالَتِ الْمُسْرِفَةُ عَلَى الرَّحَلَةِ : " بَلْ نَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَانَتْ تُقَامُ مَسَابَقَاتُ
فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ ، بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأَقَالِيمِ الْمَجَاوِرَةِ ، وَكَانَ الْأُمَرَاءُ
وَالْحُكَّامُ يَشْتَرِكُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَبَارِيَّاتِ . كَمَا نَعْتَقِدُ أَنَّ
الْيُونَانِيِّينَ الْقَدَمَاءَ ، عِنْدَمَا أَقَامُوا الْأَلْعَابَ الْأُولِيمْبِيَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَكْثَرِ
مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ ، أَخَذُوا فِكْرَتَهَا مِنْ مَبَارِيَّاتِ الرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ
تُقَامُ فِي مِصْرَ الْفِرْعَوْنِيَّةِ . "

وَمِنْ جَدِيدٍ ، وَقَفَ الْأَطْفَالُ يُتَطَلَّعُونَ مَبْهُورِينَ إِلَى حَضَارَةِ مِصْرَ
الْقَدِيمَةِ ، الَّتِي تَعَلَّمُ مِنْهَا الْعَالَمُ كُلُّهُ مُعْظَمَ عُنَاصِرِ الْحَضَارَةِ ، وَمِنْ بَيْنِهَا
مَبَارِيَّاتُ الرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ .



الأطفال يطلبون المشاركة

في مؤتمر "الطفل العربي مُبدعاً" ، الذي أقامته كلية التربية النوعية ببور سعيد ، قدّم الدكتور الهاللي الشربيني ، دراسة ذكر فيها تجربة مهمة ، حول أثر البيئة الغنية بالمشيرات ، في تنشئة الطفل الاجتماعية .

لقد ذكر أنه تمت المقارنة بين دارين لرعاية الأطفال :
الأولى للأطفال الذين حرّموا من الآباء والأمهات ، وليست لهم عائلات تهتمّ بهم . وكان الأطفال في هذه الدار يعيشون في شبه عزلة ، لأنه ليس هناك من يزورهم أو يسأل عنهم .
أما في الدار الأخرى ، فكان يعيش أبناء أمهات صغيرات مُطلقات ، وكانت الأمهات يتردّدن بانتظام لزيارة الأبناء ، ومشاركتهن اللعب ببعض الألعاب .
وعند نهاية السنة الثانية من عمر الأطفال ، اتضح أن نموّ الأطفال المعزولين ، لم يصل إلا إلى ٤٥ ٪ من نموّ الأطفال العاديين ، سواء في النواحي الجسميّة أو النفسيّة أو العقليّة ، بالإضافة إلى معاناتهم من الانطواء وعدم الحركة .
أما دار الحضانة الأخرى ، التي يتمنّع فيها الأطفال بزيارات

الأمهات واللعب معهم ، فقد ارتفعت نسبة النمو إلى ١٠٥ ٪ .
ويقول الأستاذ الباحث : " إن هذا يؤكد ضرورة مشاركة الكبار
الأطفال ، بصفة مستمرة ، في كل أنواع الأنشطة ، عن طريق الحوار
الدائم واللعب المستمر معهم . "



متحف الطيران والفضاء

من أهم المتاحف في أمريكا ، متحف الطيران والفضاء في واشنطن . وتجسّم معروضاته نجاح الإنسان في الطيران وغزو الفضاء . ومن أهم معروضاته ، التي أثارت اهتمامنا في زيارتنا له ، نموذج لبالون مونتغفليه ، أول ما ارتفع به إنسان في الهواء ، في باريس ، عام ١٧٨٣ . والمعروف أن البالونات ترتفع لأنها أخف من الهواء .

وطائرة الأخوين رايت ، التي كانت أول جهاز أثقل من



الهواء ، وقابل للتوجيه ، ويسير بقوة مُحركة ، يرتفع بإنسان في الهواء . وكان ذلك عام ١٩٠٣ ، بالولايات المتحدة .

والطائرة التي استخدمها الطيار " ليندنبرج " عام ١٩٢٧ ، وعمره ٢٥ سنة ، ليقوم بأول رحلة يقطعها رجل بمفرده ، وبدون توقف ، لعبور المحيط الأطلنطي بين أمريكا وأوروبا ، وذلك خلال ٣٣ ساعة ، من نيويورك إلى باريس .

والطائرة التي طارت بها " أماليا إيرهاث " سنة ١٩٣٢ ، من أمريكا إلى أوروبا ، في ١٤ ساعة و ٥٢ دقيقة ، وكانت بذلك أول سيدة تعبر الأطلنطي بمفردها في طائرة .

وأول طائرة يقودها طيار بسرعة تتجاوز سرعة الصوت ، سنة ١٩٤٧ .

ونموذج بالحجم الطبيعي ، لسبوتنيك (١) الروسي ، الذي كان أول قمر صناعي يدور في الفضاء حول الأرض ، سنة ١٩٥٧ .
ونموذج طبق الأصل للمكتشف رقم (١) ، أول قمر صناعي أمريكي يدور حول الأرض ، سنة ١٩٥٨ .

والمركبة الفضائية أبوللو (١١) ، التي حملت رواد الفضاء الأمريكيين إلى سطح القمر لأول مرة ، في يوليو سنة ١٩٦٩ .



قرن الخير وثمانية أطفال !!

مع مجموعة من طالبات مدارس الإسكندرية ، كنتُ أطوفُ
بالمتحف اليونانيّ الرومانيّ ، يومَ احتفالهِ بعيدِ الطفولة ، ومعنا أمانةُ
المتحف ، المسؤولةُ عن التربية المتحفية .

وأمامَ تمثالِي إلهِ النيلِ وإلهةِ النيلِ ، وقفنا نتأملُ أنواعَ الفاكهةِ
والخضراواتِ التي تملأُ قرنَ الخيراتِ ، الذي يحملهُ تمثالُ إلهِ النيلِ ،
ونُحصى عددَ الأطفالِ الذين يُحيطون بتمثالِ إلهةِ النيلِ .



قالت فتاة : " إنهم ثمانية أطفال ، ولعلمهم يمثلون اهتمام أهل مصر بالأطفال . "

قالت مسئولة التربية المتحفية : " بل يمثلون أقصى ارتفاع لمياه النيل وقت الفيضان ، وهو ثمانى أذرع ، أى حوالى سبعة أمتار . "

سألتهن : " عندما اهتم الفنان المصرى بإبداع هذين التمثالين الجميلين ، كان يعبرُ بغير شك عن حقيقة علاقة أهل مصر بالنيل ؟ "

قلن : " التمثالان يؤكدان أن النيل هو مصدر الخصب والخير والنماء لكل أرض مصر . لقد عبّر الفنان بصدق عن قوة علاقة المصريين بالنيل ، ومدى اعتماد رخائهم عليه . "

هنا لم أتمالك إلا أن أسألهن : " وهل تجدن أهل مصر ، يشعرون الآن ، بنفس هذه المشاعر القوية العميقة ، التى تربط حياتهم بنهر النيل ؟ "

وفوجئت عندما سمعتُ إجابة سريعة ، من عشرات الشابات الصغيرات ، تقول فى تأكيد : " للأسف .. لا !! "



عظماء خدموا مصر في القرن العشرين

بجوار السبورة ، فى عدد كبير من فصول مدارس المرحلتين الابتدائية والإعدادية بأمریکا ، يمكنك أن ترى لوحة كبيرة ، فى نصفها الأيمن صوراً لخمس شخصيات أو أكثر من الرجال والسيدات ، الذين قدموا خدمات جليلة لوطنهم . وفى النصف الأيسر من اللوحة ، تقرأ معلومات أساسية حول كل شخصية . وذلك لتقديم القدوة والنموذج للأطفال ، ولدفعهم إلى البحث عن معلومات إضافية عن كل شخصية .

فإذا وضعنا مثل هذه اللوحة فى أحد فصول المرحلة الابتدائية بمصر ، يمكن لنا أن نرسم ونكتب عن نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل فى الأدب ، وأحمد شوقي أمير الشعراء ، ود . د . مجدى يعقوب الطبيب العالمى فى جراحات القلب ، ود . فاروق الباز العالم الكبير فى الطبيعة ، ومحمد عبد الوهاب الموسيقار الذى أحبه كل الناس ، وأم كلثوم سيدة الغناء العربى ، والزعيم سعد زغلول قائد ثورة مصر سنة ١٩١٩ ضد الاستعمار ، وجمال عبد الناصر الزعيم الذى أمم قناة السويس ، وأنور السادات الذى حقق لمصر أعظم انتصار عسكرى فى القرن العشرين ، والرئيس حسنى مبارك الذى يُعطى معظم اهتمامه للمستقبل وللعلم وللشباب ، والسيدة سوزان مبارك صاحبة مشروع القراءة للجميع وكتاب لكل طفل ، والعالم أحمد زويل